مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 01 (2022م) • ص ص 615 - 626
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

اللامعقول في استشراف المستقبل
من حدود التفكير العقلي إلى أفق الخطاب الصوفي

Unreasonable in looking to the future
from the limits of mental thinking to the horizon of sufi discourse

جباري بولعراس *
جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر ، ومخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم – جامعة مستغانم (الجزائر)
djebar.boulaares@univ-mascara.dz

حمادي هواري
جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر ، ومخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم – جامعة مستغانم (الجزائر)
houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/06 تاريخ القبول: 2022/02/20 تاريخ النشر: 2022/02/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: إن التفكير الإستراتيجي ليس وليد اللحظة الراهنة، وإنما كانت له إرهاصات مع بزوغ الحضارات القديمة، والمتأمل لحركة التاريخ يشهد أن الحضارات العظمى لم تنشأ عبثا، وإنما قامت على أسس وخطط محكمة ضمنت لها الريادة والمكوث أزمنة عديدة، وهذه الأسس كانت مبنية على دراسات نابعة من حكماء عصر كل حضارة يمكن أن نطلق عليها بوادر التفكير الإستراتيجي الأولى، ثم نما هذا المصطلح وتزايد استعماله في الأزمنة المتأخرة، نظرا للحاجة الملحة التي جعلت المجتمعات المتقدمة تفكر في مخرج لجميع الأزمات المتوقعة ولكن وفق دراسة علمية تتسم بالموضوعية، حيث تعالج الحاضر وتعتبر بالماضي وتتنبأ بالمستقبل.

الكلمات المفتاحية: المستقبل؛ التفكير الاستراتيجي؛ التصوف؛ التنبؤ.

Abstract: Strategic thinking is not the result of the present moment, but it had precursors with the emergence of ancient civilizations, and the contemplator of the movement of history testifies that the great civilizations were not created in vain, but were built on firm foundations and plans that ensured leadership and staying for many times, and these foundations were based on studies stemming from sages The era of every civilization can be called the first signs of strategic thinking, then this term grew and its use increased in the later times, due to the urgent need that made advanced societies think of a way out for all expected crises, but according to a scientific study characterized by objectivity, where it deals with the present and considers the past and predicts the future.

Keywords: future; strategic thinking; mysticism; prediction.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن العصر الذي نحياه اليوم عصر المتغيرات والتسارع الرهيب، فهو يدعونا في كل برهة إلى التفكير المتجدد في جميع مجالات الحياة، إننا بالأحرى مجبرون في زمن التخصصات العلمية المنفتحة أن نرسي قواعد للتفكير الإستراتيجي يستمد قوته من الخبرات الماضية، ومن قراءة اليد الحاضرة، وذلك لأجل السلامة في المستقبل.

والإشكال الذي هو المحك الأساسي هو:هل الدراسة التاريخية للحضارة كاف لبناء تفكير استراتيجي يعالج حاضرنا ويبني مستقبلنا؟ وإلى أي مدى يسهم الخطاب الصوفي في استشراف المستقبل وما هي آلياته؟.

إن محاولة الإجابة عن إشكالية استشراف المستقبل يقودنا طرق أربعة مباحث وهي:

1. الإطار المفاهيمي للتفكير الإستراتيجي:
2. السير الكرونولوجي للتفكير الإستراتيجي(الحضارة اليونانية، الحضارة العربية، الحضارة الغربية)
3. الركائز الداعمة لاستشراف المستقبل-
4. مساهمة الخطاب الصوفي في معرفة المستقبل.

حاولنا تتبع المنهج التاريخي والتحليلي في الإجابة عن الإشكال، وفي كل مبحث حاولنا تأسيس أرضية مفاهيمية، ثم توصلنا في حوصلة هي بمثابة ثمرة له وعسى أن تشكل انطلاقة جديدة في المستقبل لأجل إثراء المعرفة أكثر.

2. التصور المفاهيمي للتفكير الإستراتيجي ومقوماته

يعد تحديد المفاهيم أمر صعب المنال، وذلك يرجع إلى اتساع الحقل اللغوي من جهة، والتغير الذي يطرأ على المفهوم حين ينعطف السياق اللغوي وبدل تحديد المفهوم، نحاول بناء تصور حوله.

1.2. التفكير الإستراتيجي :

هو محاولة التنبؤ بالظروف الداخلية والخارجية التي من شأنها أن تؤثر سلبا وإيجابا على اتخاذ القرار الذي يخص مؤسسة أو دولة أو إدارة، وكل مبادرة تسعى إلى التخطيط المستقبلي تعبر عن نمط من التفكير الإستراتيجي، فإذا أرادت دولة معينة أن تكون لها الريادة فإن نجاحها مشروط بمعرفة نقاط النهوض والانتكاسة تجاه المستقبل.

والإستراتيجية هي محاولة شاملة ترتكز على برنامج وأهداف تمكن مؤسسة ما، أو دولة على اتخاذ القرارات التي من شأنها معرفة الوضع الراهن والتحكم في المستقبل، من خلال رؤية بعيدة المدى.

والتفكير الإستراتيجي الناجح ترتكز مقوماته على مقومات أساسية تحقق له غاياته وأهدافه، وفي مقدمتها:

2.2. مقومات التفكير الإستراتيجي :

2.2. 1. التخطيط: "وهو محك التفكير المنظم الذي يحدد التدابير اللازمة للوصول إلى الغايات البعدية (نشوان، 1992: 28)".

ونجاح الدولة مرهون بنجاح مؤسساتها التي تعمل على خلق أساليب تساعدها على زيادة الإنتاج وتحسين الخدمات وفق كفاءات عالية وتخطيط محكم "وكل مؤسسة تحقق أهدافها بأقل تكلفة وبالوسائل المناسبة تترجم نجاحها في التخطيط (عبد الفتاح، 1990: 20)"، وحتى تنهض الدولة وتقوم بمهامها بصرامة، لا بد لها من قواعد وتدابير معينة تشمل كل المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

"إن التخطيط الإستراتيجي فكرة شملت مختلف الميادين وكان لها معنى شامل وعام (الشيخ، 2004: 25)".

في حين نجد الركيزة الثانية التي يعتمد عليها التفكير الإستراتيجي بعد التخطيط ممثلة في:

2.2. 2.القرار وأثره المستقبلي :

عملت الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين على بناء تفكير إستراتيجي يستند على اتخاذ القرارات الناجحة وفق نظام متكامل ينطلق من الحاضر ويتكهن بالآثار المستقبلية التي من شأنها أن تضمن السلامة لكافة مؤسساتها.

"إن فكرة اتخاذ القرار نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية ثم انتقلت إلى دول العالم وفي مقدماتها أوروبا (عثمان، 2006: 229)"، وكل مؤسسة تتبنى تفكير إستراتيجي يمكنها من معرفة نقاط الضعف والقوة تستند إلى التخطيط والقرار "وهما دعامتان لنظام متكامل وفلسفة إدارية ناجحة في كل القطاعات التي تمثل الدولة(متولي، 2000: 433)"، وكل مؤسسة من مؤسسات الدولة الفعلية ترسم مسارا يضمن لها تحقيق مصالحها بعيدا عن المخاطر بأرباحها "وذلك لن يتأتى إلا بالتخطيط الإستراتيجي واتخاذ القرار الذي يؤثر على توقعات المعرفة المستقبلية ويضمن لها تحقيق أهدافها (بشير، 1964: 67)".

إن المنهج النظامي الذي يصنع القرارات ويتنبأ بالمستقبل وآثاره لن يكون إلا وفق خطط محكمة، "البرامج التي تتحدد بقرارات مستقبلية وخطط إستراتيجية هي التي تعطي للإدارة أو المؤسسة المعلومة الممكنة والصحيحة (جمال الدين، 2000: 16)"، "وكل تفكير إستراتيجي تعتمده الإدارة من أجل تحقيق نتائج مثلى يستمد قوته من الإمكانيات المتاحة (علي، 2000: 121)".

إن ما نلاحظه هنا أن التفكير الإستراتيجي يقوم على التخطيط واتخاذ القرار بعيدا عن الواقع المتوهم فهو ينطلق من الحاضر، أي الإمكانيات المتاحة حتى تكون الأهداف المرجوة واقعية.

"إن الدولة المثلى هي التي ترسم آفاق مستقبلية حتى تواجه المخاطر المتوقعة منطلقة من قدراتها وإمكانياتها وصولا إلى الأهداف والغايات المنشودة (عماد الدين، 2007: 23)"، فالتخطيط الإستراتيجي أسلوبا تعتمده الإدارة وهو بمثابة الفاعلية لها حيث تستمد قوتها ونشاطها الجاد منه، ولكن التفكير

الإستراتيجي في غياب الخبرة والتجارب يبقى تفكيرا مبتورا وناقصا، ولهذا يرى المفكر محمد فوزي في كتابه التخطيط الإستراتيجي في المؤسسات "أن الخبرة المستمدة من التجارب العملية الميدانية شرطا أساسيا ودعامة أساسية للتفكير الإستراتيجي الناجح (فوزي، 2009: 25)".

2.2.3. الخبرة الفاعلة:

يستند التفكير الإستراتيجي إلى دعامة أساسية ثالثة ألا وهي الخبرة المستمدة من كثرة التجارب التي تعلم المؤسسة الخطأ وعدم الوقوع فيه مجددا، فكل محاولة هي تصحيح لأخطاء قديمة حيث نصل بالأهداف إلى مدى عال في التنسيق والوضوح، ولهذا نجد حشمت قاسم يقول في كتابه التخطيط الإستراتيجي "إن الخبرة تعلمنا الابتكار والالتزام والمراقبة والتنسيق في صناعة القرارات الناجحة(قاسم، 1998: 04)".

وقد كانت الريادة للمؤسسات العسكرية التي تعتمد على الخبرة كدعامة أساسية في التفكير الإستراتيجي الذي يضمن لها النصر والنجاح ثم أصبحت الخبرة منتشرة في بقية القطاعات والمؤسسات، " وكلما كانت التجارب متنوعة كانت الإستراتيجية متفوقة في أدائها وضامنة لسلامة المؤسسات(بن نبي، 1979: 16)".

بناء على ما تقدم ذكره، فإن التفكير الإستراتيجي يرتكز على مقومات ثلاثة تشكل بناء هرمي له، حيث أن القاعدة محكومة بالتخطيط واتخاذ القرار أما رأس الهرم يتمثل في الخبرة التي تضمن للدولة أو المؤسسة فاعليتها.

3. التفكير الإستراتيجي ودوره في بناء الحضارة

إن كل حضارة تقوم على مقومات طبيعية وبشرية وثقافية، ويلعب العامل البشري دورا أساسيا في بنائها.

إنه بمثابة الفكر الذي يحلل المستقبل، ولا ريب أن هذا الفكر موجود في الحضارات القديمة وإذا أردنا أن نعرف مدى العلاقة بين الفكر الإستراتيجي وقيام الحضارة، فإن التفكير الاستراتيجي بمثابة الفعل المحرك لدواليب الحضارة وسنحاول في هذا المبحث تبيان مفهوم الحضارة وعلاقتها بالفعل الحضاري.

1.3.مفهوم الحضارة:

إن الحضارة تفسر انتقال الإنسان من الطور الهمجي إلى الطور الإنساني، وعلى حد قول مالك بن نبي "إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية"، يبدوا جليا أن خروج الإنسان من غشاوة الجهل إلى نور القيم الإنسانية يترجم لنا الفعل الحضاري. ويتم ذلك وفق بناء متكامل يساهم فيه الأفراد لبناء صرح حضاري، وباندثار هذه القيم تضمحل الحضارة.

هذا القول يذكره الأستاذ بشير ضيف الله "الحضارة تمر بمراحل الطفولة والشباب والشيخوخة هذه المرحلة الأخيرة تندثر فيها القيم(ضيف الله، 2014: 24)"، والحضارة ترتحل من مكان إلى مكان حيث تتوفر عوامل إحيائها "وفي اعتقاد ارتحال الحضارة لدى مالك بن نبي تخضع إلى الدور الحضارية(شاوش،

2008: 03)". مما تقدم يمكن القول أن الحضارة هي حركة واعية يصنعها الإنسان من أجل البقاء والقوة فهي الحياة الراقية، ولا يتسنى ذلك إلا بفكر إستراتيجي يضمن الاستمرار أكبر قدر من الزمن، وكل ما كان الفعل الحضاري محكم بتخطيط ناجح يضمن للحضارة حقب زمنية بعيدة المدى، وكل حضارة على مر التاريخ سارت وفق تخطيط إستراتيجي.

2.3. السير الكرونولوجي للتفكير الإستراتيجي :

1.2.3. الحضارة اليونانية وفكرها الإستراتيجي :

مرت الحضارة اليونانية بثلاث مراحل، المرحلة الجنينية وبرزت فيها ملاحم هوميروس "إن المرحلة الجنينية للحضارة اليونانية برزت فيها القصائد الشعرية المتمثلة في الملاحم وكانت على ضفاف سواحل آسيا الصغرى(صبحي، 1999: 25)"، فكلما وجد الماء حلت الحضارة وانتعش الفكر، ثم مرحلة الازدهار التي بزغت فيها الأفكار الفلسفية، وكانت أثينا مسرحا فكريا وتاريخيا لهذه الفلسفة، ثم بدأت هذه الحضارة في الاندثار حينما تخلت عن الفكر الواحدي وتميعت بالوثنية المتعددة.

يقول ول ديورانت: "واندثرت الحضارة اليونانية حينما تخلت عن التفكير الواحدي (ديورانت، 1988: 80)"، وتأثرت الحضارة اليونانية بأفكار الحضارات المجاورة حيث أخذت مختلف العلوم من خلال الرحلات والتجارة، يقول المفكر السابق الذكر "فقد أخذت الحضارات اليونانية أبجديات اللغة من الحضارة الفينيقية، وعرفت علم الفلك من الحضارة البابلية وقد كان لأفلاطون رحلات إلى مصر(ديورانت، 1988 : 80)".

2.2.3. الحضارة الإسلامية وخبرتها الإستراتيجية:

جمعت هذه الحضارة بين الشريعة والحكمة. يقول مشهد العلاف "وقد جمعت الحضارة العربية بين نموذجين من الفكر الإستراتيجي النص الديني والحكمة اليونانية(العلاف، 2012: 30)".

نجد في تحليل هذا القول أن الفكر الإستراتيجي اليوناني كان بمثابة مدخل ودعم للحضارة الإسلامية، إنما جاءت به الفلسفة اليونانية حق، وما جاء به النص الديني حق، والحق لا يضاد الحق، هذه القاعدة اعتمدها ابن رشد في تفكيره وكانت بمثابة نهضة فكرية ودعائم للحضارة الإسلامية.

ولقد كانت لهذه الحضارة مقومات ساهمت في نضج فكرها يقول عبد الحميد درويش "المقوم الروحي الذي يتكون من التصوف والقرآن والنظرة العقلية الثاقبة ساهم في استمرار هذه الحضارة(درويش، 2016: 266)".

3.2.3. الحضارة الغربية والفكر الإستراتيجي المتسارع:

إن القطبية الأمريكية استفادة من خبرات الدول العظمى السابقة، وأقامت فكرا استراتيجيا يستند على الاقتصاد ورأس المال الذي يضمن القوة والاستمرار في المستقبل.

إن المنفعة مقياس كل شيء، هذا الشعار الذي صنعته المدرسة البرغماتية منطلق التفكير الإستراتيجي

الغربي.

إن الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت الإنتاج والعمل ورؤوس الأموال هذه الدعائم الثلاث مكنتها من الصدارة. ثم ساهمت في مساعدة الدول الأوروبية من خلال القروض يقول الرئيس السابق كولدج " إن تفكيرنا الإستراتيجي ينبني على المنفعة حيث شملت الميادين العسكرية ومكنت قرابة مليوني جندي منتشرين في ساحة القتال (اودون، 2012: 07)".

إن التفكير الإستراتيجي الغربي المعاصر يخلو من القيم، ويكرس نظرية الإنسان ذو البعد الواحد إنها مادية متوحشة بقدر ما تضمن السيطرة جعلت الإنسان الغربي متشائم لأنه أهمل الجانب الكوثري.

هذا أن الفكر الإستراتيجي في جميع الحضارات يستند دوما إلى الخبرات المتلاقحة وأفكار الأمم السابقة فالحضارة اليونانية أخذت عن الحضارات الشرقية القديمة وأقامت صرحا فكريا عظيما في مختلف المجالات، في حين نجد الحضارة الإسلامية بدورها تأثرت بفلسفات وأفكار أفلاطون وأرسطو ومزجتها بروح الشريعة فازداد هذا الفكر عظمتا وقوة وضمن لها البقاء قرونا عدة.

أما الحضارة الغربية فقد غلب على فكرها الإستراتيجي البعد المادي الذي يرتكز على الاقتصاد والثروة والمنفعة.

4. الركائز الداعمة لاستشراف المستقبل

يقوم الاستشراف على مقومات تضمن له النجاح مثل المرونة والقابلية للمراجعة، ووضوح الأهداف، والتخطيط.

هذه المقومات قلصت أخطاء الحاضر واستدعت الماضي ورسمت صورة لمستقبل أمثل، وإذا حاولنا تحليل الركائز الداعمة لاستشراف المستقبل فإن الأمر يقودنا إلى محاولة تقديم تصور يضبط لنا المفهوم أولا ثم الركائز.

1.4. التصور المفاهيمي لاستشراف المستقبل:

لقد كان شغل الإنسان منذ القدم محاولته في تحقيق غد مشرق هذا على المستوى الفردي. في حين نجد الدول العظمى تحاول امتلاك المستقبل بكل ما أتيح لها من قوة من أجل ضمان السيطرة والتمكين.

فإذا كان المستقبل هو حديث الكهنة قديما إلا أنه أصبح علما قائما بذاته يقول محمد الغزالي "إن الحديث عن المستقبل عند الأوائل كان يخص المشعوذين والكهنة:(الغزالي، 1961: 08)". قد يكون السبب الرئيسي في عدم الاهتمام بالمستقبل هو الزمن اللامتسارع الذي عاشه الإنسان الأول على غرار ما نعيشه اليوم.

ومن بين الأسباب التي جعلت الأمر ملح اليوم هو التسلح والهيمنة يقول صالح بن حمد:" إن التغيرات المرعبة بعد الحرب العالمية الثانية التي شملت مختلف الميادين هي السبب الرئيسي في مدعاة الحديث عن علم جديد يسمى استشراف المستقبل(بن حمد، 1981: 13)".

هذا التغير والتسارع هما أبرز المبررات التي جعلت المنظرين المعاصرين يتحدثون عن المستقبل باستفاضة، ويرسمون له خطط تضبطه من خلال دراسات إحصائية وبيانات تجعله يتنبئون بالمدى البعيد للوقائع المستقبلية، ويتأهبون لها يقول هنري منت: استشراف المستقبل هو فن يمكننا من التنبؤ بالأحداث والوقائع المستقبلية، ويرى أحمد عبد الفتاح بأن استشراف المستقبل علم حيث يقول: "استشراف المستقبل علم منظم يهدف إلى التحكم في المستقبل، أو التنبؤ به لمدة زمنية قد تصل إلى 20 سنة (عبد الفتاح، 2003: 18)".

يتبين لنا من المفهوم السابق بأن استشراف المستقبل هو علم الوقائع الممكنة أو المحتملة لأنه يعتمد على الإحصاء وعلم الاحتمال، وهذا يفيد الدول والمجتمعات في أخذ التدابير اللازمة حيال المستقبل.

إن هذه المقاربة نلمسها في كتاب بلكا إلياس حين عرف استشراف المستقبل أنه: "علم التصورات المستقبلية للوقائع الإنسانية(إلياس، 2006: 24)".

يبدوا من التعريفات السابقة أن استشراف المستقبل علم محكم بقواعد تمكن المجتمعات والدول من معرفة الأحداث المتوقعة. وهذا من أخذ الحذر وبسط النفوذ والهيمنة.

2.4. صناعة المستقبل في حدود العقل:

- إن الحديث عن المستقبل هو علم يضع قواعد تجعل المجتمعات تراهن على مستقبل أفضل بيد أن هذه القواعد تضبطها مناهج وخطط نعرضها فيما يلي:

أ. مراجعة التاريخ لأخذ العبرة واستخلاص التجارب الناجحة للأمم والحضارات الراسخة.

ب. معالجة الحاضر وفق قراءة خالية من التعالي ومتسمة بالواقعية والموضوعية.

ج. سن قوانين عامة تخضع لها كل الظواهر، هذا يجعلها ذو طابع علمي يراعي الخصوصية في الظواهر المعقدة.

د. المراجعة المستمرة التي تخضع لها الدراسات المستقبلية بسبب الواقع المتغير والمتسارع فما هو صالح اليوم قد لا يفيد المستقبل.

هـ. استقطاب آراء الخبراء في مختلف القطاعات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

5. اللامعقول في استشراف المستقبل: الخطاب الصوفي أنموذجا

5-1 نقد ما هو سائد:

إن الحديث عن التفكير الإستراتيجي واستشراف المستقبل أصبح يحتل مكانة في جميع المجالات العسكرية والاقتصادية والإدارية، ولعل مبررات البحوث الاستشرافية حول المستقبل هو ضمان البقاء وحب الريادة والاستعداد لمواجهة الكوارث والأزمات الاقتصادية، ولهذا نجد الركائز المألوفة التي يبني عليها استشراف المستقبل هي الخبرة ووضوح الأهداف والمراجعة المستمرة، الخبرة تستند إلى كثرة التجارب والاستفادة من الأمم العظمى في حين وضوح الأهداف يحدد مسار الدولة أو المؤسسة التي

تطمح إلى النجاح والنهوض أما المراجعة المستمرة فإنها تفيد في معالجة الراهن المتغير والمتسارع.

إذا كان الدراسات الاستشرافية عادة ما تحتكم إلى هذه الركائز السالفة الذكر فإن النهوض بالأمة أو الدولة أو الفرد باعتباره دولة مصغرة يقوم على مبدأ الأسباب، فالحضارة الغربية التي تقود العالم وينبهر بها الضعفاء قامت على مبدأ المنفعة تحت شعار الثروة مقياس كل شيء.

لقد نجحت في تأسيس حضارة مادية عظمى انعكست سلبا على الإنسانية جمعاء حيث عملت على تشيئة الإنسان، ولقد كتب ماركيوز كتاب يذم فيه الحضارة الغربية المادية بعنوان الإنسان ذو البعد الواحد.

فإذا كانت الحضارة الغربية حققت نجاحات في شتى المجالات العسكرية والاقتصادية بامتلاك المادة أو المبالغة في إحياء النزع الترابي في الإنسان مما أدى إلى قتل الجانب الكوثري فيه، وتغييب القيم جعلت الإنسان الغربي المسيطر والمتأثر به شقيا.

إن هذا النقد للاستشراف المستقبل المبني على التخطيط والثروة والمنفعة واتخاذ القرار والخبرة لم يصنع إلا حضارة متمسكة بثوب مادي لا يضمن لها البقاء طويلا.

2-5 مساهمة الخطاب الصوفي في معرفة المستقبل:

إن البديل بالنسبة للأمة التي تريد النهوض من خلال مراجعة تراثها واستدعائه في الحاضر بآليات معاصرة، تستطيع بناء حضارة متكاملة غير مبتورة.

إن العودة إلى الدين في منابعه الصافية يحي كوثرية الإنسان من خلال مجاهدة النفس بالذكر والارتقاء بالنفس إلى صفائها ومداومة العمل الصالح ومحبة الخير للجميع يمنحها نور به تتنبأ بالمستقبل وتستوعب حاضرها وتتصل بتاريخها (النور الأولي). فالأمة التي تريد أن تحي مجدها وتكون لها الريادة وجب أن تعود إلى استنطاق أخلاق الفطرة والإصغاء إلى نفخة الحق التي هي بداخل كل مخلوق ولا يتسنى لها ذلك إلا بتطهير النفس بالذكر قوة وبالعمل فعلا.

إن التفكير الاستراتيجي الذي يستند إلى التخطيط ومحاولة التنبؤ بالمستقبل من خلال الاعتماد على الخبرة لا يصنع إلا حضارة مغتربة تزيد في شقاء الإنسانية ولكن الرهان الذي سنشير إليه في هذا المبحث هو العودة إلى أخلاق الفطرة والدين في منابعه الصافية من خلال الذكر ومجاهدة النفس ومحبة الجميع هي ركائز الخطاب الصوفي في استشراف المستقبل وصنع القيادة وتسلم الأمانة مجددا لنهوض بالإنسانية جمعاء. ومن باب الاستئناس بقوله عز وجل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. فإن الحق يحن على عباده بعلوم الغيب و المستقبل كرامة لهم وهذا لصفاء قلوبهم بذكر الله وقد كان الشيخ علي الخواص قدس الله سره في مقام يعلم فيه ما بقى من أعمار المخلوقات وهذا مما فتح عليه ببركة ذكر الله خلوة. (الشعراني، 2008: 220).

يعلم من هذا القول [أن معرفة المستقبل وما سيجري من أحداث ممكنة شرط إتباع أحمد صلى الله عليه وسلم فمن كانت قدوته الأحمدية وصل إلى مقام الكشف حيث يطلع على المستقبل بمشيئة الباري عز وجل إن عز الحق لعباده بأن يزيدهم يقينا و نورا يبصرون به اخفي علي الناس بسبب حجب المعية وجحود النعمة ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ العاديات:6. ولهذا يقسم الأمير عبد القادر الجزائري بأن كل من اتبع النبي قولا وعملا إلا وفتح عليه من العلوم ما لم يكن يعلمها ولعل هذا القسم لدى الأمير يذكرنا بتشوق الأولياء إلى خوض غمار التجربة المحمدية حتى يسرى بهم ويعرج كل حسب إقتدائه ينهل فمن كان إقتدائه بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم أكثر كان مقامه أرقى.إن تمثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذواتنا قولا وعملا يجعلك تتذوق وتغترف من كوثر أحمد صلى الله عليه وسلم. إن الفيوضات التي سعد بها الأولياء ومن كان محبا لهم كان أساسها الأول حب الله لعباده حيث عرفهم بنبيهم وهذا من خلال معرفة من اخذ ميراث النبوة المنبعثة في كل الأزمان والأمصار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويرثها عباده الصالحون لأجل هذا خلق الإنسان لكي يكون محبا لمحبوبه الأول الحق سبحانه وبهذه المحبة ينال الخلد بأن يسعد بمعرفة ماضيه وينعم بحاضره ويتيقن بمستقبله أليس هذا هو الاستشراف الحقيقي الذي تتنافس من اجله الأمم والأفراد بدل الاستشراف الزائف والمحدود تحت نمط التفكير العقلي والإستراتيجي.إن خوض غمار التجربة التي استأنس بها الأولياء من خلال الإقتداء جعلتهم رجالا كاملين وهذا القول يذكرنا بفكرة الرجل الكامل لدى الأمير عبد القادر الذي بمقدوره أن يتحرر من الدجل ويصبح يقوى على فتح كلتا عينيه بدل إغماض عين على الحق وفتح أخرى على الباطل كما هو حال كثير من الخلق - جعلنا الله من القليل- والقلة هي التي اصطفاها الحق لمعرفة المكنونات وبهم يهتدي الخلق ويكرم، ومن كل شيئي خلق زوجين شيء حقيقي وآخر زائف، أصلي ومشبه والقلوب المزيفة بالحجب والران والصديد تتبع ما شبه وهو الباطل و الزيف. وأما نداء الحقيقة يسمعه من صفاء قلبه بذكر محبوبه أبصر بكلى عينيه ثنائية الحق والباطل وبهذا ينعتق من دجل العين التي ترى إلا المزيف هذا القول هو قراءة من كتاب تهب منه نسائم فهم مختلف ومتميز عن مفهوم الدجال وفكرة الرجل الكامل عند الأمير عبد القادر الجزائري.

فيما ذكره أبو حامد الغزالي أن الخلوة يفتح فيها على العبد من علوم السر وهي سلوك الأنبياء والأولياء (الشعراني، 2008: 05). الأمة التي تريد أن تقود العالم لا بد أن تسلم زمام القيادة إلى (الإنسان الكامل) (عبد القادر، 2004: 149) الذي له القدرة على استشراف المستقبل ومعالجة الحاضر واستدعاء الماضي في الآن نفسه، وقد يكون الإنسان المفقود الكامل يعوضه مجلس شوري متكامل يتكون من أشخاص عدة لكل منه ميزة ونور متخصص في مجال معين (فكرة الفارابي). إن استشراف المستقبل بعين جليلة تفوق الملكة العقلية ولا يقوى عليها إلا من وهب ملكة (عين النبوة) (الغزالي، 57) على حد تسمية أبي حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال، وهذه الملكة لا تكون إلا لدى خاصة الخاصة الذين أكرموا بها بسبب مداومة الذكر والعمل الصالح.

لهذا فإن استشراف المستقبل بعين النبوة يجعل الأمة تعالج حاضرها وتستدعي ماضيها وتتأهب

لمستقبلها إنه استشراف يقيني يفوق الاستشراف العقلي المبني على الأسباب وإرهاق العقل في التفكير وعادة ما يخلوا من النظر التام ويتميز بالنسبية.

إن استشراف المستقبل المبني على العقل المحدود استشراف مبتور لأنه لا يقوى على الارتقاء الكوني وهذا ما يوضحه ابن عربي من خلال كتاب فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي (إن العقل ميزة الإنسان العادي والمعرفة العلمية في حين نجد الإنسان المطلق الذي يملك حقيقة الذات والعالم يتجاوز حدود العقل) (زياني 2017: 149). هذه الملكة التي سعى الفلاسفة والحكماء والقادة إلى امتلاكها من أجل السيطرة والارتقاء والتمكين بها يستشرفون المستقبل.

إن الإنسان المطلق هو الذي يقوى على استشراف المستقبل (وحسب نظرة ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية له عقل يمتلك حقيقة الذات والعالم) (ابن عربي، 1293هـ: 193).

إن عين النبوة التي تصنع الإنسان الكامل الذي بإمكانه استشراف المستقبل وإخراج الأمة من الأزمات (فهي مستنبطة من حقيقة النبوة التي كل الناس في حاجة إليها).

6. خاتمة

وقصارى القول هذه مجموعة من النتائج تمخضت عن التحليل السالف الذكر:

1. التفكير الإستراتيجي مصطلح محدث له إرهاصاته في المجتمعات الإنسانية القديمة.
2. التخصصات العلمية والظروف المتسارعة هي مميزات منطقية لولادة علم الإستراتيجيات في كل الميادين.
3. غريزة البقاء وحب الريادة والتصارع وبسط النفوذ والقوة لدى الدول العظمى والمجتمعات الراغبة في النهوض جعلها تفكر مليا في فن الإستراتجيات واستشراف المستقبل.
4. تعطش الباحثين لمعرفة المستقبل جعلهم يصورونه وفق بنيات، وإحصائيات المواجهة والحذر.
5. استشراف المستقبل علم وفن الممكنات المستقبلية له أسس ومقومات تخضع لمقاييس الموضوعية والاحتمال والتقنين، وأصبح بارزا في حقل العلوم الإنسانية المعاصرة.
6. الأهداف الواضحة المراجعة المستمرة والمرونة والتخطيط الممكن أهم مقومات استشراف المستقبل.
7. إن التصوف الأصيل ينقلنا من الاستشراف النسبي للمستقبل إلى الاستشراف الأكثر يقينا.
8. الزهد المحمود والمجاهدة من الدعائم اللاعقلانية في استشراف المستقبل.
9. كثرة الذكر تمكن الإنسانية من الارتحال في الزمن بحيث تدرك ماضيها وتستوعب حاضرها وترى مستقبلها.
10. إذا كانت الخبرة والتخطيط تجعل الأمة تتنبأ بالمستقبل فإن الصفاء الروحي يجعلها ترى المستقبل.

7. قائمة المراجع

- نشوان، يعقوب (1992): الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، ط3، دار الفرقان، عمان.
- عبد الحميد، عبد الفتاح (1991): الإدارة الإستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرون، مجموعة النبل العربية.
- الطاهر، محمد أحمد الشيخ (2004): التخطيط الإستراتيجي ضرورة عصرية، مجلة الدراسات الجنائية، ع 10.
- غنيم، عثمان (2006): التخطيط أسس ومبادئ عامة، دار رضا للنشر والتوزيع، عمان، ط2.
- محمد، متولي(2000): التخطيط التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- عايدة، بشير(1964): الإدارة الإستراتيجية، مكتبة عين شمس، القاهرة.
- محمد محمود، جمال الدين (2000): التخطيط الإستراتيجي لنظم المعلومات، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية.
- السلمي، علي (2000): الإدارة المعاصرة، مكتبة الغريب، مصر.
- النابلسي، عماد الدين (2007): الحطة الإستراتيجية بين التنفيذ والرقابة، دار الهداية، الأردن.
- فوزي، محمد (2009): التخطيط الإستراتيجي في المؤسسات الحكومية، دار الهداية، الأردن.
- حشمت، قاسم (1998): التخطيط الإستراتيجي لخدمات المعلومات، مركز الإسكندرية للوسائط الثقافية والمكتبات، مصر.
- البكري، صلاح الدين (2006): التخطيط الإستراتيجي في المؤسسات الغير ربحية، الشام للنشر والتوزيع، سوريا.
- بن نبي، مالك (1979): ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شهين، دار الفكر.
- ضيف الله، بشير (2004): فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي.
- شاويش، محمد (2008): مالك بن نبي وشروط النهضة، التبيين، ع: 19، الجاحظية، الجزائر.
- صبحي، أحمد محمود، و عبد السلام جعفر، صفاء (1999): في فلسفة الحضارة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1.
- ديورانت، ول (1988): قصة الحضارة، تر: محمد بدران، مجلد 2.
- العلاف، مشهد (2012): فلسفة الحضارة الإسلامية الرؤية الغزالية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- درويش، عبد الحميد (2016): الفلسفة والحضارة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- لوبون، جوستاف (2012): فلسفة التاريخ، تر: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط1.
- الغزالي، أبو حامد (1961): إحياء علوم الدين، مطبعة الرسالة المحمدية، مصر.
- بن حمد، صالح (1981): المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، السعودية.

- أحمد، عبد الفتاح، وآخرون(2003): الدراسات المستقبلية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- بلكا، إلياس(2006): الغيب والمستقبل، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان.
- الشعراني، عبد الوهاب (2008)، الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من لأسرار وا لعلوم، تحقيق السيد شريف مصطفى الحنفي، دار جوامع الكلم، القاهرة.
- الأمير، عبد القادر (2004): المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، دار الكتب العلمية.
- الغزالي، أبو حامد(لا.ت): المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تقديم د. عبد الرزاق قسوم، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.
- مزياني، محمد (2017): فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي (ابن عربي أنموذجا)، ط1، لندن.
- ابن عربي، محي الدين (1293هـ): الفتوحات الملكية، دار صادر، ج1، بيروت.